# التصوف في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر

# (635 – 897هـ / 1237–1492م)

**المهدي بهدي**
باحث بسلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية -الرباط

**ملخص:**

يسعى هذا البحث إلى دراسة **التصوف في مملكة غرناطة خلال عصر بني الأحمر (635-897هـ/1237-1492م)**، متجاوزا الرؤية التقليدية للتصوف بوصفه ممارسات فردية زاهدة إلى تحليل وظائفه الاجتماعية والسياسية والإصلاحية في مجتمع يئن تحت وطأة الحروب والضياع السياسي. اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي والوصفي والاستقرائي، متتبعا نشأة التصوف وتطوره، وأبرز أعلامه من الرجال والنساء، وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة، ودورهم في التعليم والإصلاح الاجتماعي والمقاومة الروحية. وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة، أبرزها: أن التصوف الغرناطي نشأ من بذور زهدية محلية تغذت بالتيارات المغاربية والمشرقية، وأن التحولات السياسية كانت عاملا رئيسيا في انتشاره، كما أسهم الصوفية في الحركة العلمية والأدبية، وكانوا قوة إصلاحية فعالة، واتسمت علاقتهم بالبلاط بالتوازن والاستقلالية، وشكّل التصوف وعاء للمقاومة المعنوية في مواجهة السقوط.

**الكلمات المفتاحية:** التصوف، مملكة غرناطة، بنو الأحمر، الزهد، الإصلاح الاجتماعي، المقاومة الروحية، الأندلس.

**Abstract :**

This research examines **Sufism in the Kingdom of Granada during the Nasrid Era**,(635-897 **AH/1237-1492 CE**) moving beyond the traditional view of Sufism as merely individual ascetic practice to analyse its social, political, and reformative functions within a society weighed down by war and political disintegration. The research adopts the historical-analytical, descriptive, and inductive approaches, tracing

the origins and development of Sufism, its most prominent male and female figures, their relationship with the ruling authority, and their role in education, social reform, and spiritual resistance. The research reaches several important conclusions, most notably: that Granadan Sufism emerged from local ascetic roots nourished by Maghrebi and Eastern currents, that political transformations were a major factor in its spread, that Sufis contributed significantly to the scholarly and literary movements, that they constituted an effective reformative force, that their relationship with the court was characterized by balance and independence, and that Sufism served as a vehicle for moral resistance in the face of the eventual fall of the kingdom.

**Keywords**: Sufism, Kingdom of Granada, Banu al-Ahmar (Nasrids), Asceticism (Zuhd), Social Reform, Spiritual Resistance, Andalusia.

**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين الذي لا يبلغ مدحه القائلون، ولا يحصي نعماه العادّون، والصلاة والسلام على أفضل خلقه وخاتم أنبيائه أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، صلوات ربي عليهم أجمعين وعلى أصحابه المجتبيين، وبعد،

أثر الاتجاه الزهدي الإسلامي علي الحياة الدينية في الأندلس بشكل عام وعلي غرناطة بشكل خاص لما مثله تاريخها من اهمية كبري في الوجود الإسلامي في تلك الأصقاع، فهي آخر معاقل المقاومة الإسلامية للممالك الإسلامية فكان تأثيرها في الحياة الفكرية هناك مستمرا حتي نهاية ذلك الوجود، وقد ظهر التصوف بشكل واضح ومؤثر خلال هذا العصر وباتجاهاته التي طفحت علي السطح منذ نشأته من حيث الطرق التي ظهرت والأفكار التي اكتسبتها، وكان لحركة الفتوحات أثرها في انتقال الأفكار الدينية في بادئ الأمر والتي صارت اتجاها عاما شمل كثير من الفئات الاجتماعية .

وقد شهدت مملكة غرناطة في ظل بني الأحمر(635 – 897هـ / 1237- 1492م) نشاطا دينيا تلون بصبغة صوفية شديدة الوضوح، فكان التصوف أحد ثماره، حيث ترتب على تدهور الأوضاع في مختلف النواحي خلال تلك الفترة، بالإضافة إلى الحروب المستمرة إلى اعتناق الكثيرين من الناس للفكر الصوفي، واشتد تيار التصوف في مملكة غرناطة وازداد نفوذا ورسوخا بتحقيق الانسجام والتوافق بين التصوف ومبادئ الكتاب والسنة ،كما شكل المتصوفة في عصر بني الأحمر طبقة اجتماعية كان لها وزنها داخل المجتمع، وكانوا عنصرا فعالاً في جميع أوجه الحياة الاجتماعية ، وترك المتصوفة بصماتهم الواضحة في الحياة الفكرية في مملكة غرناطة فشاركوا في تعليم أبناء المملكة سواء في المدارس أو الربط أو في المساجد، كما تركوا مصنفات لا حصر لها في التصوف.

**أولا: أهمية الدراسة:**

1. تُعنى الدراسة بفترة بالغة الأهمية من تاريخ الأندلس، وهي مرحلة الانهيار والسقوط، التي لم تحظ الحركة الصوفية فيها بالدراسة الكافية مقارنة بالعصور الذهبية للأندلس.

2. تتجاوز الدراسة الرؤية التقليدية للتصوف بوصفه ممارسات فردية زاهدة، لتبرز وظائفه الاجتماعية والإصلاحية في مجتمع يئن تحت وطأة الحروب والضياع السياسي.

3. تُبرز الدراسة التفاعل المعقّد بين المؤسسة الصوفية والسلطة السياسية في لحظة تاريخية دقيقة، حيث كانت غرناطة آخر معقل للإسلام في الغرب الأوروبي.

**ثانيا: أهداف الدراسة:**

1. رصد نشأة التصوف وتطوره في مملكة غرناطة، وتحديد أبرز أعلامه في ظل حكم بني الأحمر.

2. تحليل الوظائف الاجتماعية للتصوف، لا سيما دوره في التعليم الديني الشعبي، وتعزيز التماسك الاجتماعي.

3. استكشاف طبيعة العلاقة بين الصوفية والسلطة السياسية في غرناطة، ومدى تأثير هذه العلاقة في استمرار الحركة الصوفية ونفوذها.

4. الكشف عن دور التصوف في تشكيل الوعي المقاوم روحيا ومعنويا، وفي تعزيز التسامح الديني داخل مجتمع تعددي.

**ثالثا: تساؤلات الدراسة:**

**السؤال الرئيس:** كيف أسهم التصوف في تشكيل المشهد الديني والاجتماعي والسياسي في مملكة غرناطة في ظل حكم بني الأحمر؟

**الأسئلة الفرعية:**

1. ما الظروف التاريخية والفكرية التي هيأت لنشأة وازدهار التصوف في غرناطة النصرية؟

2. من أبرز أعلام التصوف في غرناطة، وما المناهج التعليمية والروحية التي اتبعوها في نشر أفكارهم وتكوين مريديهم؟

3. ما الدور الاجتماعي الذي اضطلع به الصوفية في مجالات الإصلاح بين الناس، والتعليم الديني، وتعزيز التماسك الاجتماعي في ظل الضغوط السياسية المتصاعدة؟

**رابعا: الدراسات الحديثة:**

هناك بعض الدراسات التي أشارت إلى هذا الموضوع، ومنها نذكر:

1. دراسة بعنوان "مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر", للدكتور " أحمد محمد الطوخي"، تناول فيها أبرز ما يميز حضارة العرب والمسلمين في الأندلس منها ذلك الولع الشديد بالعلوم، والنواحي الثقافية، حيث استطاع العرب هناك إنشاء العديد من المدارس، والأماكن الثقافية المختلفة وعلى رأسها المكتبات، إلى جانب ذلك فقد اهتم العرب والمسلمون بإثراء حركة الترجمة، وقد أفادت الدراسة في تأثير المتصوفة على الحياة الثقافية والأدبية.
2. دراسة بعنوان" المظاهر الحضارية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر " للدكتور محمد عبد الحميد الطوخي، تناولت بعمق الجانب الحضاري للمملكة، مع تسليط الضوء على التصوف فيها .على الرغم من تخصيص عدد قليل من الصفحات لموضوع التصوف، إلا أن الدراسة قدمت معلومات قيمة ومفيدة حول هذا الجانب.
3. دراسة بعنوان: "التيار الصوفي والمجتمع في المغرب والأندلس خلال القرن الثامن الهجري"، تأليف الدكتور محمد مفتاح، تتناول سبب ظهور الظاهرة الصوفية، وممارسات رجالها وطرقها. تغلب على هذه الدراسة الصبغة الأدبية والفلسفية، بينما يقدم البحث تسليط الضوء على الجانب التاريخي والحضاري، وما ترتب عليه من تأثير ثقافي وديني واجتماعي.

وبالنظر في هذه الدراسات، يتضح أنها أسهمت بصورة متفاوتة في إثراء مختلف فصول الدراسات الحالية، وقد شكلت رافدا علميا مهما لما قدمته من معطيات وإضاءات ونتائج ساعدت في بناء موضوع هذا البحث وتأطيره.

**خامسا: منهج الدراسة:**

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي بوصفه المنهج الأمثل لقراءة النصوص والوقائع التاريخية وتحليلها في سياقها الزماني والمكاني، مع الاستعانة بـ المنهج الوصفي في عرض ملامح الحركة الصوفية وأعلامها ومؤسساتها، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي في تتبع أخبار الصوفية وآثارهم في المصادر التاريخية والأدبية والتراجم، والربط بينها للوصول إلى استنتاجات تتجاوز السرد التقليدي للأحداث.

**سادسا: تقسيم خطة البحث:**

وتتكون من مقدمة، وتمهيد وفصلين وخاتمة، كما يلي:

**التمهيد: بيان مفهوم التصوف.**

**الفصل الأول: السياق التاريخي والفكري للتصوف الغرناطي**

**المبحث الأول: النشأة والتطور التاريخي للتصوف في مملكة غرناطة.**

المطلب الأول: انتقال التصوف من المغرب إلى الأندلس.

المطلب الثاني: التحولات السياسية وأثرها في انتشار التصوف.

**المبحث الثاني: من أشهر أعلام التصوف الغرناطي.**

المطلب الأول: من أشهر المتصوفة في عصر بني الأحمر.

المطلب الثاني: من أشهر المتصوفات في عصر بني الأحمر.

**الفصل الثاني: الوظائف الاجتماعية والسياسية للتصوف في غرناطة.**

**المبحث الأول: التصوف والإصلاح الاجتماعي.**

المطلب الأول: أثر المتصوفة في الحياة الاجتماعية في عصر دولة بني الأحمر.

المطلب الثاني: أثر التصوف في الحياة الاقتصادية في عهد بني الأحمر.

**المبحث الثاني: التصوف والسلطة السياسية.**

المطلب الأول: علاقة الصوفية ببلاط بني الأحمر.

المطلب الثاني: التصوف والمقاومة الروحية في مواجهة السقوط.

**الخاتمة.**

## التمهيد: بيان مفهوم التصوف.

### التصوف في اللغة:

مصدر مشتق من الفعل المصوغ من "صف" ،و هو يدل على لبس الصوف(1)، وصاف الكبش صوفا، برز وكثر عليه الصوف(2)، وكثر صوفه فهو أصوف وهي صوفاء(3)، وصوفاني بالضم، إذا كثر صوفه(4)، ولذا فمن المرجح أن لفظ ( تصوف) يعود في أصل اللغة إلى الصوف، ثم صار يطلق على الزهاد حتى ولو لم يلبسوه؛ لأن زهدهم في الأساس قائم على عزوفهم عن كل الأهواء والرغبات في حياتهم ، فالصوفي من يتبع أسلوب ونمط التصوف(5)، وتصوف فلان: صار من الصوفية(6)؛ لأنه يقوم بلبس الصوف تقشفا(7)، فالتصوف هو لبس الصوف الخشن والعبادة لله سبحانه وتعالى في ظل حياة بسيطة جدا(8)والتصوف يُعتبر نمط وأسلوب حياة يقوم على التقشف والالتزام بالفضائل؛ لكي تزكى الروح، ولتترقى النفس (9).

### أما التصوف في الاصطلاح:

قد كثرت تعريفات الصوفية للتصوف بما لا طائل تحته، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنه لا يمكن تعريف التصوف لتباينه بتباين الحقب الزمنية، أو لسوى ذلك من الاعتبارات (10)، من الصعب تحديد تعريف شامل للتصوف، إذ تباينت دلالات الكلمة ومعانيها بين الناس بشكل كبير. رغم اختلاف وتنوع

---

(1) مصطفي عبد الرازق : "مادة التصوف"، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط 1، الإمارات العربية المتحدة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م ، ج 7، ص 2214.

(2) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الطبعة: الثانية [كُتبت مقدمتها 1392 هـ - 1972م] ، ص 529.

(3) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، دار التحرير، القاهرة ، 1989م ، ص 374.

(4) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد : القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط 8، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005 م ، ص 829.

(5) أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، ص 529.

(6) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ص 374.

(7) أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، ص 529.

(8) جاسم لطيف جاسم : التصوف في الأندلس منهج ابن سبعين، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد (2) ، جامعة تكريت، 2009م ، ص 2.

(9) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ص 374 ؛ أنيس وآخرون: المعجم الوسيط ، ص 529.

(10) عبد الله دجين السهلي: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز أشبيليا ، الرياض، 1426 هـ ، ص 9 .

التعريفات (1)، فإن معظمها يجمع على أن التصوف يتمثل في العزوف عن الحياة الدنيا دون تكلف، وتطهير القلب من آثارها."(2)، فالمتصوف لا ينغمس في ملذات وشهوات الحياة، بل ينصرف عنها ولا يوليها اهتماما أو قيمة تذكر. ولذلك سُمّي المتجرد للحياة الصوفية في الإسلام صوفيا (3)، وتعود هذه التسمية إلى ارتداء الصوف كرمز للتقشف (4)، يُعتبر علم التصوف مجموعة من الآراء والمعتقدات التي يعتنقها الصوفيون، بالإضافة إلى العادات التي يتبعونها في مجتمعاتهم وزواياهم. (5).

## الفصل الأول: السياق التاريخي والفكري للتصوف الغرناطي

### المبحث الأول: النشأة والتطور التاريخي للتصوف في مملكة غرناطة:

#### المطلب الأول: انتقال التصوف من المغرب إلى الأندلس:

في نهاية القرن الأول الهجري، حوالي عام 90هـ/708م، أوكل القائد العربي موسى بن نصير مهمة قيادة البربر المسلمين لطارق بن زياد. هؤلاء البربر كانوا قد انضموا إلى صفوف الجنود العرب في بلاد الشام، وركزوا جهودهم في منطقة الأقصى بالمغرب العربي، حيث اتخذ طارق طنجة كقاعدة له. أبدى البربر حماسة شديدة للجهاد ونشر تعاليم الإسلام التي جلبها العرب. تزامنت الفتوحات الإسلامية في الأندلس مع ظهور النزعة الصوفية في الإسلام في المشرق على يد شخصيات بارزة مثل الحسن البصري وزين العابدين علي بن الحسين وآخرين. (6).

ورغم أن معظم الجنود الإسلاميين الذين فتحوا مناطق الأندلس كانوا من المسلمين الأفارقة، إلا أن بعض الجيوش الأخرى جاءت من المشرق لأداء مهمة الجهاد (7)، فمنذ بداية الفتح العربي الإسلامي

(1) فاطمة الزهرة جدو : السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479- 635هـ/ 1086- 1283م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2008م ، ص 5.

(2) جودت محمد أبو اليزيد المهدي: موسوعة التصوف روح الإسلام ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م، ص18 .

(3) مصطفي عبد الرزاق : "مادة التصوف"، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج .7، ص 2214.

(4) أنيس وآخرون: المعجم الوسيط ، ص 529.

(5) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، ص 374.

(6) عبد السلام غرميني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، ط 1، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000م ، ص 24.

(7) المرجع السابق نفسه ، ص 24.

للأندلس سنة 92- 93 هـ/ 711- 712م دخل التصوف تلك البلاد مع بعض التابعين الذين جاءوا للأندلس للجهاد والمراقبة وكان هؤلاء معروفين بالورع والتقوى والزهد في الدنيا (1)، وأبو علي الملقب بحنش الصنعاني كان من أبرز هؤلاء الزهاد (2)، الذي دخل الأندلس مع حملة موسى بن نصير ويعتبر من أوائل الذين زرعوا بذور الزهد والورع في تلك البلاد (3)، ومن أشهر الزهاد الذين اتبعوا طرقا بسيطة بعيدة عن التعقيد الفلسفي، وقد اشتهر بتفانيه في العبادة وقراءة القرآن (4)، وأعطى للأندلسيين مثالا في الصلاح والورع، واستقر في سرقسطة، وهو من أمر ببناء المسجد الجامع هناك(5)، بكل ما يملك حتى لم يبق له ولا لأسرته شيء .ولم يكن يرتدي سوى الملابس البسيطة، واستشهد دفاعا عن حدود الأندلس (6)، وكذلك بالنسبة لداوود بن ميمون بن سعيد الذي اشتهر أيضا بالزهد والصلاح والتقوى (7)، وكان ارتباط الأندلسيين بالشرق عاملا مهما ساعد في بلورة حركة الزهد الناشئة. أما الأندلسيون الذين ذهبوا إلى الشرق فقد كانت دوافعهم مختلفة. ومنهم من قصد بنية الحج وطلب العلم من مصادره، ومنهم من قصده التجارة وكسب المال (8)، مما سهل مهمة طلاب العلم من أهل الأندلس إلى المشرق لأداء فريضة الحج والحصول على كل جديد من المعارف في مختلف المجالات (9).

كانت الرحلات التي قام بها سكان الأندلس مريحة وسلسة إلى حد كبير، حسب طريقة السفر في ذلك الوقت .لأن حكام الدول الإسلامية، بغض النظر عن سياساتهم أو بلادهم، كانوا يهتمون بشكل كبير بتسهيل الطرق التي تربط مكة

(1) جاسم لطيف جاسم : التصوف في الأندلس ، ص 1.

(2) هو حسين بن عبد الله كنيته أبو علي، لقب بـ(حنش) وكان مع الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، غزى المغرب والأندلس وسكن سرقسطة ومات سنة 100 هـ/ 718م. انظر : الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م ، ص 178.

(3) فاطمة الزهرة جدو : السلطة والمتصوفة في الأندلس ، ص 13.

(4) جمال علال البختي : الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2005م ، ص 10.

(5) فاطمة الزهرة جدو : السلطة والمتصوفة في الأندلس ، ص 13.

(6) البختي: الحضور الصوفي، ص 10.

(7) محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1993م ، صـ118، 143 ؛ فاطمة الزهرة جدو : السلطة والمتصوفة في الأندلس ، ص 13؛ سلمان، مصدر سابق، ص 30.

(8) فاطمة الزهرة جدو : السلطة والمتصوفة في الأندلس ، ص 13؛ البيلي : الزهاد والمتصوفة، صـ 119- 120.

(9)عبد الشافي محمد عبد اللطيف ،السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ،الناشر: دار السلام – القاهرة ،الطبعة: الأولى - 1428 هـ: ص 357.

والمدينة بأطراف العالم الإسلامي، بدءا من الأندلس في الغرب وصولا إلى حدود الصين في الشرق، ومن آسيا الوسطى في الشمال إلى المحيط الهندي في الجنوب. (1).

فعاد هؤلاء إلى بلادهم حاملا معهم أفكارا وتعليمات بذلوا جهدهم لنشرها في مجتمع الأندلس الذي انتشر فيه الفساد وامتلأ الناس بالمتعة والترف وابتعدوا عن الدين. وبالمقابل، ظهرت فئة من الأخيار والعباد الذين اتخذوا التصوف في حياتهم خيارا، وكانت التقوى والزهد أسلوب حياتهم، وعاشوا للصلاة. وكانوا يتطلعون إلى الله راغبين فيما وعد به الأخيار، فازدادت أعداد المتصوفين الذين استلهموا من الأعمال والكتابات الشرقية. (2)، والتي كانت متعلقة بالوعظ والزهد والتصوف والتي دخلت الأندلس من خلال الوافدين إليها كالحجاج وطلبة العلم والتجار وغيرهم ومنها مثلا: "الرسالة الصوفية بأفق الإسلام"، و"التحبير في علم التذكير" للقشيري، وكتاب" أدب الدنيا والدين" للماوردي، و"قوت القلوب" لأبي طالب المكي والحفاظ على حدود الله تعالى للحارث بن أسد المحاسبي (3)، وهو الذي قال الخطيب البغدادي: "الحارث بْن أسد أبو عبد اللَّه المحاسبي، أحد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر وَالباطن. وحدث عن يزيد بن هارون، وطبقته. روى عنه أبو العباس بن مسروق الطوسي، وَغيره، وللحارث كتب كثيرة فِي الزهد، وفي أصول الديانات، والرد على المخالفين من المعتزلة، والرافضة، وغيرهما، وكتبه كثيرة الفوائد، جمة المنافع. وذكر أبو علي بن شاذان يوما كتاب الحارث في الدماء، فقال: على ذلك الكتاب عول أصحابنا في أمر الدماء التي جرت بين الصحابة"(4)، فيمكن القول بأنه قد كان لنزعة الزهد في المشرق الإسلامي صداها في الأندلس (5)، وعاملا مهما ساعد على نشوء التصوف الذي اتخذ شكل الزهد في بدايته الأولى في بلاد الأندلس.

(1)عبد الشافي محمد عبد اللطيف ،السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، : ص 357.

(2) فاطمة الزهرة جدو : السلطة والمتصوفة في الأندلس ، ص 14.

(3) فاطمة الزهرة جدو : المصدر السابق ، ص 14.

(4)أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (392- 463 هـ)،تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها) حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ،الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م:105/9.

(5) جاسم لطيف جاسم : التصوف في الأندلس ، ص 2 .

**المطلب الثاني: التحولات السياسية و أثرها في انتشار التصوف:**

قد مرت سلطنة غرناطة(1) منذ تأسيسها سنة 635هـ/1237م بتاريخ حافل من الأحداث السياسية الجسيمة. ويفسر ابن خلدون(2) نشوء دولة ابن الأحمر(3) بتوافق مع نظريته العصبية والدولة، فقد اعتمد ابن الأحمر على مجموعة صغيرة من أقاربه الذين عرفوا بـ الرؤساء، دون الحاجة لأكثر من ذلك بسبب قلة العصبيات في الأندلس، ويشرح ابن خلدون (4) ذلك قائلا: " لا تظن أنه (ابن الأحمر) تعبير عن عصابة فليس الامر كذلك، لقد بدأ بعصابة إلا أنها كانت صغيرة وعلى قدر الحاجة نظرا لأن الأندلس تفتقر الى العصائب والقبائل مما يغني عن كثرة في التغلب عليهم".

وعلى الرغم من صغر حجم السلطنة التي أسسها السلطان محمد بن يوسف، إلا أنها نجحت في البقاء لمدة طويلة مقاومة ضغط الممالك الاسبانية الشمالية، ومحافظة على الوجود العربي الاسلامي في الأندلس لما يقارب 250 عاما علما بأن تأسيسها تزامن مع ازدياد اصرار وتصميم الإسبان على القضاء نهائيا على المسلمين نهائيا وإسقاط دولتهم.

وقد أسّس الأحمر دولته وسعى لاستمرار وجودها من خلال الابتعاد عن الصراع مع الإسبان، حين تعرضت غرناطة للحصار تحت قيادة ملك قشتالة (5) فرناندو الثالث (611-650هـ/1214-1252م)، الذي سعى جاهدا للاستحواذ عليها في عام 643هـ (6)، قرر أن يوقع اتفاقية بين الطرفين. (7) يبدو أن ابن الأحمر واجه صعوبات في الالتزام بتلك

---

(1) غرناطة، Granada: بفتح أوله وسكون ثانيه، ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، والبعض يسميها غرناطة، وتعني الرمانة بلسان عجم الأندلس، وسميت بذلك لحسنها وجمالها، وتقع سلطنة غرناطة في المنطقة الجنوبية الشرقية من الأندلس، وتشتمل على ثلاث ولايات هي، ولاية غرناطة في الوسط، وولاية مالقة في الجنوب، وولاية المرية في الشرق، وللتعرف على تفاصيل أكثر حول المدلول اللغوي لغرناطة، وموقعها وحدودها وعدد الولايات التابعة لها. انظر: ابن القوطية، أبو بكر محمد: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1378هـ/1958م، ص 53- 55؛ ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد: فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1968، ص 56؛ حسين مؤنس: رحلة الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1385هـ/1963م ، ص 167.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، وضع الحواشي والفهارس خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م ، ج 1 ، صـ 298-299.

(3) ابن الأحمر: يسمى بهذا الاسم نسبة الى جده الذي يسمى ابن نصر ولقب بالأحمر لشقرة فيه، إلا أنه في المصادر الاسبانية يسمى: (بالبرميخو) ومعناه اللون البرتقالي الضارب الى الحمرة، وهو لون شعره. انظر: علي محمد حمودة: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي القاهرة ،1957م، ص 295؛ أحمد مختار العبادي: الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة، مجلة المؤرخ العربي، العدد (6) ، بغداد ،1978، ص 13 عبد القادر زمامه : بنو الأحمر في غرناطة ، مجلة البحث العلمي، العدد (26) ، الرباط، 1976، ص 101 .

(4) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج .1، صـ 298-299.

(5) قشتالة Costile: هي من الأقاليم العظيمة في شمال الأندلس، عرفت بهذا الاسم لأن قاعدتها تسمى قشتالة، للمزيد من التفاصيل حول تكوين هذه المملكة وتطور نشأتها وموقعها الجغرافي والمناطق التابعة لها، يُنظر: ابن بسام ، أبو الحسن على بن الحسن الشنترينى : الذخيرة في محاسن الجزيرة ، المجلد الأول ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1979م ، ج .4 ، صـ 30 – 31 ؛ ياقوت الحموي ، أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1997م ، ج 4 ، ص 35 ؛ رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الاسلامية، القاهرة ، 1985 ، صـ 203 – 204 .

(6) ابن الخطيب، لسان الدين: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ، 1347هـ ، ص 48.

(7) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1998، جـ2، صـ509- 510؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، 35-36.

الاتفاقية، فحاول الخروج منها بالتفاوض على دفع جزية سنوية لملك قشتالة أو مساعدته ضد أعدائه. لكن ملك قشتالة رفض هذا العرض، مما دفع سلطان غرناطة إلى التعاون مع دولة بني مرين في المغرب. بلغت هذه الدولة ذروتها في زمن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (1)الذي اعتبر أن من مسؤوليته التدخل في الأندلس لأنها جزء من دولة الإسلام. وقد طلب من ألفونسو العاشر ملك قشتالة تسليم الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف (2)، وسرعان ما انطلق ابن الأحمر لاستغلال الموقف المتوتر بين الإسبان وبني مرين، وامتنع عن دفع ما اتفق عليه مع الإسبان، مشيرا إلى رأي العلماء والفقهاء في السلطنة، الذين أبدوا رغبتهم بعدم الاستسلام لإسبانيا. فألغى الاتفاق السابق مع الإسبان (3)، وطلب الدعم من المرينيين ضدهم، ونجحت القوة المشتركة بين الغرناطيين والمرينيين في تحقيق الانتصار. (4)، تكررت المعارك والانتصارات، ما أدى إلى وصول القوات الإسلامية إلى مشارف قرطبة (5)، حيث سقط عدد كبير من الأعداء، وتم الحصول على الكثير من الأسلحة والأموال. ([6])، لكن سرعان ما تطور الوضع إلى صراع بين الغرناطيين وبني مرين على الجزيرة الخضراء الحيوية. ([7])، بالإضافة إلى ذلك، نشأت منافسات بين الطامعين في عرش غرناطة مع حدوث عدد من التمردات على السلطة ([8])، تلك الأحداث لها تأثير كبير على انتشار التصوف، نظرًا للدور البارز للمتصوفة في الجهاد وتعزيز روح التضحية والفداء.

(1) الناصري السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق : د. جعفر الناصري، د. محمد الناصري، الدار البيضاء، 1972م ، ج 3. ، صـ 66- 67

(2) جزيرة طريف Tarifa: جزيرة على البحر المتوسط وهي مدينه صغيرة عليها سور تراب، يشقها نهر صغير، بينها وبين الجزيرة الخضراء عشرة أميال. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1357هـ/1937م، ص 127.

(3) رزق الله منقريوس الصدفي: تاريخ دول الاسلام، مطبعة الهلال، القاهرة، 1980م، ج 3، ص 3 .

(4) المقري: نفح الطيب، 448/1.

(5) قرطبة Cordova: وهي مدينة عظيمة وسط بلاد الاندلس، كانت سريراً لملكها وقصبتها، بينها وبين البحر خمسة ايام، وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان في نفس السور. الحموي: معجم البلدان، ج 4 ، ص 324.

(6) الملزوزي ، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد: نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، الرباط، 1963 ، صـ 97- 98 .

(7) ابن أبي زرع، أبو الحسن بن عبد الله الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور ، ط2، 1999م، ج 2 ، ص 221.

(8) ابن الخطيب: أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2006، ج 2، ص 287- 288 .

## المبحث الثاني: من أشهر أعلام التصوف الغرناطي:

### المطلب الأول: من أشهر المتصوفة في عصر بني الأحمر:

ومن بين أشهر المتصوف محمد بن عبد الرحمن التميمي الحلفاوي (ت 715 هـ/ 1315 م) من أهل تونس، وإبراهيم الساحلي (ت 754 هـ/ 1353 م) الذي بنى مدرسة غربي المسجد الأعظم، وأوقف عليها الرباع وابتنى غيرها من المساجد، وولي الخطابة، وقضاء الجماعة في المسجد.

ومنهم المتصوف أبو البركات البلفيقي الذي ابتنى ثمانية عشر جبا في مواضع متفرقة، وعشرين مسجدا، وكل ذلك من ماله. وبنى أبو جعفر بن علي الخزاعي المسجد العتيق بالبيازين، أحد أحياء مملكة غرناطة. وبنى محمد بن حسنون الحميري المسجد المنسوب إليه وأمّ الناس به (1)، وقد كان السلطان محمد الأول كان يتوجه إلى المتصوف مروان اليحانسي (ق هـ/ 13 م) في وادي آش ليطلب منه أن يعينه بدعواته المجابة في صراعه مع الإسبان (2). المثال أبو إسحاق التنوخي (3)، الذي تولى الخطابة في المسجد الجامع (716 هـ/ 1336 م)، والخطيب أبو عبد الله البلشي(4)، ومحمد بن المواق (ت 750 هـ / 1349 م)(5) كان خطيبا بمسجد ربض الفخارين، ومحمد المعافري (ت 699 هـ/ 1299 م) (6) الذي تولى الخطابة بالمسجد الأعظم. وغيرهم الكثير، ومنهم الصوفي محمد حسنون الحميري بأنه " كان فاضلاً وصالحا مشهور الولاية والكرامة، يقصده الناس في الشدائد فيسألون بركة دعائه " (7)، ومنهم أيضاً المتصوف محمد الهاشمي الطنجالي، كان رفيقا بالخلق، عطوفا على الضعفاء. وهناك المتصوف الحلفاوي: كان بارا رحيما بالمساكين، وكان له مال كثير أنفقه في سبيل الله. والمتصوف التنوخي: علامة الأولياء، المجمع على فضله وزهده، كان رحيما هو الآخر بالفقراء والمساكين، جوادا حتى بقوته، كما كان ساعيا في حوائج الناس. والمتصوف إبراهيم الساحلي: كان مشتهرا بالصدقة. والمتصوف محمد البكري: كان شيخا صالحا جهوريا بعيدا عن المصانعة، يلبس خرقة الصوفية، مشاركا للناس ساعيا في حوائجهم.

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة، ج 3، صـ 191- 192؛ المقري: نفح الطيب، ج 7، ص 21.

(2)انظر: الأزدي: تحفة المغترب في بلاد المغرب، ص 70؛ المقري: نفح الطيب، ج .5 ، ص 434.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج .1، ص 374؛ الكتيبة الكامنة، ص 32- 33.

(4) ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص 50.

(5) ابن المواق: هو محمد بن أحمد الأنصاري، من أهل غرناطة، كان معلماً لكتاب الله، كان عالم غرناطة وصالحها. انظر : ابن الخطيب: الإحاطة، ج .3، ص 230- 231؛ الزركلي: الأعلام، ج 8 ، ص 30.

(6) الوادي آشي: برنامج الوادي آشي ، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م ، ص 130 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج .4، ص 256- 257.

(7) من كراماته التي آمن بها " أنه سمع يوما بعض الصبيان يقول لصبي آخر مر للحبس، فقال أنا المخاطب بهذا، فانصرف إلى السجن فدخله وقعد مع أهله، وبلغ ذلك السلطان، فوجه وزيره، فأخرجه وأخرج معه أهل السجن كلهم، فكانت من كراماته ". انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج .5، ص 171.

والمتصوف إبراهيم محمد النفري. ويذكر الكتاني أن أحد تلاميذه تصدق بعشرة آلاف دينار من الذهب حين تاب على يديه، فقد كان الضعفاء والمساكين يأتون إليه من كل حدب وصوب فلا يرد أحدا منهم خائبا. (1)

**المطلب الثاني: من أشهر المتصوفات في عصر بني الأحمر:**

وممن عرف عنهن التصوف في هذا العصر: سيدة بنت عبد الغني بن علي العبدرية (ت 647 هـ/ 1249 م): أصلها من لوشة، كانت تجيد قراءة القرآن، لها مشاركة في الطب، تنظم الأشعار. وعائشة بنت عبد الواحد اللخمي، وكانت "امرأة فاضلة منقطعة القرين شهيرة الفضل"، والمتصوفة عائشة بنت عبد الله الأندلسي، التي أمضت حياتها داخل حجرة صغيرة مواجهة لمئذنة المسجد الجامع، فكانت تسجد في أوقات الأذان، وتردد اسمه تعالى في سائر الأوقات، حتى اتهمها بعضهم بالاختلال، وطبيعة المرأة الأندلسية بوجه عام تتصف بالحياء وهو شعبة من شعب الإيمان، فكانت تسدل الستار على وجهها، ولا تخرجن سافرات في الطريق العامة (2).

كما أن هناك عائلات سلك أفرادها طريق التصوف من بينها عائلة الغساني التي برز منها أبو القاسم بن أحمد الغساني المعروف بابن الحفيد الأمين وابنه محمد، وعائلة ابن سيد بونة الخزاعي برز منها أبو جعفر بن أحمد بن سيد بونة، وأبو تمام غالب بن سيد بونة، وأبو يحيى بن أحمد بن سيد بونة، وأسرة ابن المحروق من بينهم أبو عبد الله محمد بن المحروق وابنه أبو علي بن المحروق. وقد نزل على هذه الأسرة ابن بطوطة الذي زار مملكة غرناطة في القرن الثامن الهجري/ الثالث عشر الميلادي (3).

نستخلص مما سبق أن أصحاب النحل الصوفية في عصر بني الأحمر شكلوا طبقة اجتماعية ذات وزن وثقل في المجتمع الغرناطي، كما كانوا عنصرا فعالا في كل أوجه الحياة الاجتماعية.

(1) التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 39- 40 ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م، ج.1، ص 424 ؛ الكتاني: سلوة الأنفس، ص 150 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة ، ج.1، ص 368، ج.3، ص 240، 246، 271، 272.

(2) توريس بلباس: الأبنية الإسلامية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد (1)، السنة الأولى، مدريد، 1953م، ص 125- 126.

(3) النباهي: المرقبة العليا، ص 137؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج.1، ص 247؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص 391.

## الفصل الثاني: الوظائف الاجتماعية والسياسية للتصوف في غرناطة

### المبحث الأول: التصوف والإصلاح الاجتماعي:

#### المطلب الأول: أثر المتصوفة في الحياة الاجتماعية في عصر دولة بني الأحمر:

شاع التصوف في مملكة غرناطة بين جميع طبقات المجتمع، فلم يقتصر على طبقة أو فئة معينة من فئاته، بل كان بابه مفتوحاً أمام الغرناطيين على اختلاف منزلتهم الاجتماعية، سواء كانوا من الخاصة أو العامة، ويؤكد ذلك أحد الباحثين بقوله: " شهد المجتمع حركة زهد قوية قويت في أوساط العامة والخاصة، فكثر الزهاد والنساك والمتصوفة"(1) . كما طرق أبواب الملوك - كما ذكرنا سابقا-، فعاش كثير من الصالحين الذين اتخذوا التصوف منهجاً لحياتهم، وربما يعود ذلك إلى الهجمات الإسبانية المتكررة على غرناطة، والتي أدت إلى انتشار ظاهرة التصوف بين مختلف الفئات الاجتماعية، حيث دفعتهم إلى أن يتوجهوا نحو حياة التصوف للاستعداد المادي والروحي للعدو الخارجي (2).

ولم يكن الزهد في غرناطة نزعة سلبية تقوم على الانعزال عن الناس واجتنابهم وعدم الاكتراث بأمورهم، لكنه كان نزعة إيجابية وفعالة في المجتمع الغرناطي، شاركوا أفراده همومهم وآلامهم، وسعوا جاهدين لكشف الضوائق عنهم، فقد تمسكوا بتعاليم الكتاب والسنة التي تحث على التكافل والتعاون عن طريق البذل والإنفاق (3).

ومن الجهود الاجتماعية التي بذلها متصوفة غرناطة من أجل إعانة الفقراء دورهم في المجاعات والحث على الصدقات والإحسان إلى الفقراء، فقد كان المتصوف محمد بن قاسم الأمي (ت 750 هـ/ 1350 م) له مجالس ذكر يتزاحم عليها الأغنياء قبل الفقراء، وكان يحث المترفين من الأغنياء على الصدقات، فعندما داهم الوباء مملكة غرناطة، بذلوا الأموال في أبواب البر والصدقة.

---

(1) محمد مفتاح: التيار الصوفي والمجتمع في المغرب والأندلس، ص 258.

(2) محمد مفتاح: التيار الصوفي والمجتمع في المغرب والأندلس، ص 258.

(3) حسين سيد عبد الله مراد: التصوف في عصر المرابطين والموحدين، ص 83.

**المطلب الثاني: أثر التصوف في الحياة الاقتصادية في عهد بني الأحمر:**

وفي ما يخص دورهم في الأزمات الاقتصادية فقد لجأ العامة إلي المتصوفة إذا أساء العمال إليهم بالظلم والطغيان فيشتكون لهم، وبخاصة فيما يخص الضرائب، ويؤكد ذلك ذهاب أحدهم إلي المتصوف ابن الحاج البلفيقي يشتكون له من ضغط الضرائب فيذكر أنه عاتب مسئول الجباية بالمرية علي ما يلقاه السكان من ضغط ضريبي، وطلب منه الرأفة بهم [1]، كما لجأوا إليهم حينما تعرضت مواشيهم لوباء وبخاصة في الريف، فكانوا يقومون بالذهاب إلي قبر أحد الأولياء ويأخذون من ترابه ويخلطونه بالماء، ويسقوا منهم مواشيهم اعتقاداً منهم أنها تدفع عنهم الوباء[2]، كذلك لجأ الناس إليهم حين امتنع نزول المطر سائلين إياهم الدعاء، ومن الصوفية الذين لجأ الناس إليهم المتصوف محمد بن أحمد الطنجالي ، حيث أكد ابن الخطيب أن أحد أشياخه حدثه قائلا : " حضرت مقامه مستسقيا وقد امتنع الغيث، وقحط الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال أستغفر الله، فضج الخلق بالبكاء والعجيج، ولم يبرحوا حتي سقوا [3] .

وعندما جدبت الأرض في سنة (747هـ / 1346م) ولم يستطع الناس البذر، التجأوا إلي المتصوف ابن الحاج البلفيقي الذي صعد المنبر طالبا السقاية فأُجيبت دعوته ونزل المطر(4) ، وعندما استجاب الله دعائه ونزل المطر، وظهرت بركة السقاية أنشد ابن الخطيب (5) قائلا:

**ظمئت إلى السقيا الأباطح والربا حتى دعونا العام عاما مجدبا**

**والغيث مسدول الحجاب و إنما علم الغمام قدومكم فتأدبا**

كما واجه البعض منهم المجاعات والأوبئة وحث الأغنياء على العطاء والبذل، ومساعدة الضعفاء والفقراء، وأبرزهم المتصوف محمد الهاشمي الطنجالي، الذي واجه وقت توليه منصب القضاء وباء عام (750هـ/ 1350م)، وطلب من الفقهاء والفضلاء والزعماء مساعدة من بقي حيا من الفقراء، فسار الناس إليه

---

(1) المقري : نفح الطيب ، ج 7 ، ص 16 .

(2) الأزدي : تحفة المغترب ، ص 68- 69 .

(3) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج 2 ، ص 146 .

(4) المقري: نفح الطيب، ج .7، ص 16.

(5) الإحاطة، ج 2، ص 146.

مسرعين بأموالهم، وقلدوه توزيع صدقاتهم (1)، وقد سعي بعض المتصوفة في حوائج الناس من بينهم المتصوف التنوخي، الذي عُرف عنه رحمته بالضعفاء والمساكين (2)، وافتدي البعض الآخر طائفة من الأسري بماله (3). حتى إن أبا علي الناصر المشدالي بعث إلى المتصوف إبراهيم الساحلي (ت 754هـ/1353م) وكان مشتهرا بالصدقة بكتاب من بجاية يقول فيه: " يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر، وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا، إن الله يجزي المتصدقين". وكان الضعفاء والمساكين يأتون إلى الكثير منهم، فلا يردونهم ويبذلون لهم المال الوفير (4).

## المبحث الثاني: التصوف والسلطة السياسية

### المطلب الأول: علاقة الصوفية ببلاط بني الأحمر:

قد حرص سلاطين بني الأحمر على اختيار سفراء من بين العلماء الصالحين، ويرجع ذلك إلى أن السفارة هي المسار المهم في علاقات غرناطة مع دول الجوار الأخرى. وكان أبو البركات البلفقي من الصوفية الذين انتدبوا لذلك المنصب، وكان يتمتع بمكانة مرموقة بين معاصريه مع براعته في الأساليب. وآداب صحبة الملوك، فجعله كل ذلك مرغوبا مستعانا به في السفارة بين الملوك، "(5). ويشير ابن خلدون الى أنه: " سيطر على رغبات السلطان، وعهد إليه ادارة مملكته وخلط بندمائه وأهل خلوته"(6)، كما تفرد ابن الخطيب في مهارة إدارة الأمور واتخاذ القرارات وقضى أعواما في الوزارة مستأثرا بكل سلطة ويتصرف كحاكم مطلق (7). وكان ابن زمرك(8) صوفيا مصاحبا للصوفية، ترقى في مناصب الدولة، خصه السلطان أبو الحجاج بكتابة سره، ثم تولى منصب الوزارة، ثم الكتابة بعد ابن الخطيب واستعمله في السفارة بينه وبين

---

(1) النباهي : المراقبة العليا، ص 157

(2) السيوطي: بغية الوعاة، ج.1، ص 424.

(3) ابن الخطيب : الإحاطة، ج.3، ص 273.

(4) ابن الخطيب: الإحاطة، ج.3، ص 240.

(5) يحيى بن خلدون: بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد، الجزائر، 1904م، ج 2، ص 114- الزركلي: الأعلام، ج 7، ص 269.

(6) العبر، ج 7، ص 335.

(7) محمد عبد الله بن عنان: نهاية الأندلس، ص 476.

(8) ابن زمرك: محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن زمرك، أصله من شرق الأندلس، ولد سنة (733 هـ/ 1333م) جنح إلى حب الصالحين بالانضواء إلى شيخ الفرق الصوفية الولي أبي جعفر بن الزيات وأخيه، كان حياً (792 هـ/ 1392م) . انظر : الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 29.

ملوك عصره، وسير شؤون الدولة بأسلوب جديد قائم على التفاوض مع العدو وإبرام العقود التي تضمن السلم وحسن الجوار لا على الحروب التي لا تجلب إلا الخسائر في المال والأرواح، ونجحت تلك السياسة التي اتبعها، فقد عقد صلحا معهم تسع مرات، كما فوض إليه السلطان الغني بالله عقد الصلح بين المسلمين بالعدوتين، فكان رسوله إلى سلاطين بني مرين(1). وإلى جانب ذلك تولي المتصوف الهاشمي الطنجالي (ت 724 هـ/ 1325 م)(2) منصب الوزارة استعمل أيضا في السفارة بين مملكتي الأندلس والعدوة، كما استخدم في التفاوض مع النصارى الإسبان(3) واعتمد السلطان الغني بالله في إدارة السلطنة على عدد من الشخصيات البارزة في الادارة، من بينهم وزيره لسان الدين ابن الخطيب(4)، بالإضافة الى حاجبه أبو النعيم رضوان، الذي شارك في تحمل أعباء الدولة مع السلطان الغرناطي(5)، كما كان هناك شخصية محورية أخرى هو شيخ الغزاة المريني أبو زكريا يحيى بن عمرو بن رحو(6)، وكان منصب القضاء من المناصب التي تولاها متصوفة غرناطة، فكان ملوك غرناطة يختارون لهذا المنصب أهل الفضائل والمجد والأدب، ، ونجد أن المدونات والوثائق المعاصرة امتدحت كفاءة القاضي الغرناطي، وميله إلى الزهد، وإخلاصه في أداء عمله(7)، ومن المتصوفة الذين تولوا منصب القضاء وأحسنوا السيرة ابن الحاج النميري (ت 768 هـ/ 1367 م) الذي ولي القضاء بناحية غرناطة(8)، كما تولى المتصوف ابن سلمون الكناني قضاء الجماعة بحضرة غرناطة، وكان في قضائه "موصوفا بالفضل والعدل، مترفقا بالضعفاء، متغاضيا عن زلات الفقهاء، تقدم قاضيا

(1) ابن زمرك، محمد بن يوسف الصريحي: ديوان ابن زمرك، تحقيق: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 13 ؛ حمدان حجاجي: حياة وآثار ابن زمرك، شاعر الحمراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2008م ، ص 51.

(2) الهاشمي الطنجالي : هو محمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن عبد الرحمن الهاشمي الطنجالي لوشي الأصل، ما لقي المنشأ، ولد سنة 640 هـ/ 1242م، الولي الفاضل، لسانه صامت إلا من ذكر الله، ثوبه خشن. ابن الخطيب: الإحاطة، ج .3، ص 245- 246.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج 3 ، ص 246.

(4) للتعرف على ترجمة لسان الدين أبن الخطيب راجع: ابن الخطيب: الإحاطة، ج .4 ، صـ 43- 439؛ المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ضبطه وحققه مصطفي السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1939م ، ج .1 ، صـ 62- 63 ؛ نفح الطيب، ج 4 ، ص 404.

(5) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج .2 ، ص 15-16؛ اللمحة البدرية، صـ 115.

(6) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج .2 ، ص 16.

(7) أحمد محمد الطوخي: المظاهر الحضارية، ص 197.

(8) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج .1، ص 91.

بجهات شتى من الأندلس، ثم ولي القضاء بغرناطة، فحمدت سيرته، وشكرت مداراته، وكان في نفسه هينا لينا " (1).

كذلك محمد بن علي بن عبد الله اللخمي كنيته أبا عبد الله، ويعرف بالشقوري نسبة إلى مدينة شقورة (2)، وقد كان طبيب دار الإمارة، وقد كان رجل خير وأمانة وحسن المشاركة، وله مؤلفات عدة، لم تذكر سنة وفاته، لكن ولادته كانت سنة 727 هـ/ 1326 م (3).

**المطلب الثاني: التصوف والمقاومة الروحية في مواجهة السقوط**

قد بذل الصوفيون في غرناطة جهودًا كبيرة في سياسة تلك المملكة وحثوا على الجهاد والوحدة لمواجهة المسيحيين الذين يريدون القضاء على الإسلام نهائيًا في الأندلس. ويؤكد ذلك القول المقري بقوله : عندما تقلصت مساحة الإسلام في الجزيرة ، واستعاد الكفار العديد من مدنها وقراها سواء بالقوة او بالصلح والاستسلام، استمر العلماء والكتاب والوزراء في تحفيز حماس ذوي الأبصار والبصائر، وتشجيعهم في مختلف المناطق" (4)، تميزت السلطنة في تلك المدة بالاستقرار والهدوء نتيجة لسوء الأوضاع الداخلية في مملكة قشتالة من جانب(5)، ودعم السلطان المريني أبي عنان بن أبي الحسن بن أبي سعيد بن أبي يوسف من جانب اخر(6)،كان السلطان الغني بالله يرسل ابن الخطيب ليلقي بقصائد حماسية تثير عنده روح الجهاد، تحث من خلالها نصرته لمسلمي غرناطة(7)، مما يؤدي الى استجابة السلطان لدعوات الغرناطي دائما(8)

(1) النباهي: المرقبة العليا، ص 167 .

(2) شقورة: مدينة أندلسية من أعمال جيان . الحميري: الروض المعطار، ص 349.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج 3 ، صـ136- 137 .

(4) نفح الطيب ، ج 4 ، ص 455 .

(5) بهاء موسي حبيب : دور غرناطة في مواجهة تحديات الممالك الأسبانية ، ص 120.

(6) للتعرف على تفاصيل حياته انظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2 ، صـ 18 -22 . 18/2-22؛ اللمحة البدرية ، صـ 117-119 .

(7) السلاوي : الاستقصا، ج 3 ، ص 194.

(8) بهاء موسي حبيب : دور غرناطة في مواجهة تحديات الممالك الأسبانية، ص 129.

وبذلك يتبين أن التصوف في الأندلس لم يكن نزعة سلبية يقوم على اعتزال الناس واجتنابهم وعدم اكتراثهم بأمورهم ولكنه كان نزعة إيجابية نشطة وفعالة في المجتمع الأندلسي يهتم بالناس ويشؤون حياتهم الدينية والدنيوية (1).

**خاتمة:**

يمكن إجمال أهم النتائج في الآتي:

1. أثبتت الدراسة أن التصوف في غرناطة لم يكن ظاهرة مستوردة بالكامل، بل نشأ من بذور زهدية محلية تغذت بالتيارات الصوفية المغاربية والمشرقية، فتشكلت له هوية خاصة جمعت بين الورع والعمل الاجتماعي.
2. اتضح أن التحولات السياسية المتسارعة وغارات الإسبان المتكررة كانت عاملا رئيسيا في انتشار التصوف، حيث وجد الناس في الزوايا والرباطات ملاذا روحيا يعوضهم عن فقدان الأمن والاستقرار.
3. برز في غرناطة أعلام صوفية جمعوا بين التصوف والفقه المالكي، وأحدثوا توازنا بين الشريعة والحقيقة، مما جنبهم الانزلاق إلى الغلو الفلسفي الذي ميّز بعض المدارس الصوفية الأخرى.
4. أسهم الصوفية في الحركة العلمية عبر بناء المدارس والرباطات، وتدريس العلوم الشرعية مجانا، ووقف الأموال على طلاب العلم، مما جعل التعليم الديني في متناول العامة.
5. كان للصوفية دور ريادي في النهضة الأدبية، حيث نظموا أشعار الزهد والمدائح النبوية التي عبّرت عن وجدان الأمة في محنتها، وكان الشعر عندهم وسيلة للدعوة والإصلاح لا مجرد فن للترفيه.
6. مثّل الصوفية قوة إصلاحية فعالة في المجتمع، إذ قاموا بحل النزاعات بين الفرقاء، والتوسط بين الحكام والرعية، وإعانة الفقراء والضعفاء في الأزمات والمجاعات، فكانوا حلقة وصل بين السلطة والشعب.
7. اتسمت علاقة الصوفية ببلاط بني الأحمر بالتوازن؛ إذ استعان السلاطين بهم في السفارات والقضاء والوزارة، بينما حافظ الصوفية على استقلالهم الروحي، ولم ينقلبوا إلى أداة دعائية للسلطة.

(1) الكلاباذي ، أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري : التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1993م ، ص 65.

8. شكّل التصوف وعاء للمقاومة الروحية والمعنوية في مواجهة سقوط المملكة، فعزز روح الصبر والثبات، وحثّ على الجهاد والوحدة، مما أطال عمر الوجود الإسلامي في الأندلس.

9. امتد إرث التصوف الغرناطي إلى ما بعد السقوط، حيث أثّر في الثقافة الإسبانية والصوفية المغاربية، وظل حاضرا في الذاكرة الثقافية من خلال أعمال ابن عربي ومدرسة غرناطة الصوفية.

**أهم التوصيات:**

1. أوصي الباحثين بإجراء دراسات معمّقة حول أرشيف الزوايا والرباطات الغرناطية، لما تحويه من وثائق تعكس الحياة اليومية للصوفية وتفاعلهم مع المجتمع.
2. أقترح تخصيص بحوث مستقبلية لمقارنة التصوف الغرناطي بالتيارات الصوفية المعاصرة له في المغرب والمشرق، للكشف عن خصوصية المدرسة الغرناطية.
3. أدعو إلى ترجمة ونشر المخطوطات الصوفية الغرناطية غير المنشورة، وإدراجها في المناهج الأكاديمية، لإحياء هذا الإرث الفكري وإتاحته للباحثين والدارسين في العالم العربي والإسلامي.

## قائمة المصادروالمراجع


- ابن أبي زرع، أبو الحسن بن عبد الله الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، 1999م.
- ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد: نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، 1967م.
- ابن الخطيب، أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.
- ابن الخطيب، لسان الدين: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1378هـ/1958م.
- ابن بسام، أبو الحسن على بن الحسن الشنترينى: الذخيرة فى محاسن الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد: فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1968.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، وضع الحواشي والفهارس خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.
- ابن زمرك، محمد بن يوسف الصريحي: ديوان ابن زمرك، تحقيق: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (392 - 463 هـ)، تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ،الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.

- أحمد مختار العبادي: الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة، مجلة المؤرخ العربي، العدد (6)، بغداد، 1978.
- توريس بلباس: الأبنية الإسلامية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد (1)، السنة الأولى، مدريد، 1953م.
- جاسم لطيف جاسم: التصوف في الأندلس منهج ابن سبعين، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد (2)، جامعة تكريت، 2009م.
- الحميري : صفة جزيرة الأندلس، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1357هـ/1937م.
- جمال علال البختي: الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م.
- جودت محمد أبو اليزيد المهدي: موسوعة التصوف روح الإسلام، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- حسناء بوزويتة: حياة الشعر في نهاية الأندلس، مركز النشر الجامعي، طرابلس، 2001م.
- حسين مؤنس : رحلة الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، القاهرة ، 1385هـ /1963م.
- حمدان حجاجي: حياة وآثار ابن زمرك، شاعر الحمراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2008م.
- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، 1985م.
- رزق الله منقريوس الصدفي: تاريخ دول الاسلام، مطبعة الهلال، القاهرة، 1980م.
- سالم عبد الرزاق سليمان المصري: شعر التصوف في الأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007 م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1964م.

- عبد السلام غرميني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م.
- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: الأولى - 1428 هـ
- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1976م.
- عبد القادر زمامة: بنو الأحمر في غرناطة، مجلة البحث العلمي، العدد (26)، الرباط، 1976م
- عبد الله دجين السهلي: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز أشبيليا، الرياض، 1426 هـ .
- علي محمد حمودة: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، القاهرة ،1957م.
- فاطمة الزهرة جدو: السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (479- 635هـ/ 1086-1283م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2008م.
- فوزي عيسى: الموشحات والأزجال في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990 م.
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط 8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005 م.
- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري: التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1994م.
- محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م.
- مصطفي عبد الرازق: "مادة التصوف"، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط 1، الإمارات العربية المتحدة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م.
- المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه مصطفي السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م.

- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1998.
- الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد: نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، الرباط، 1963.
- الناصري السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: د. جعفر الناصري، د. محمد الناصري، الدار البيضاء، 1972م.
- نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الطبعة: الثانية، 1392 هـ - 1972 م.
- ياقوت الحموي، أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1997م.
- يحيى بن خلدون: بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد، الجزائر، 1904م.